ISSN: 2321-7928

العلّامة عبد الحميد الفراهي

وآراؤه التفسيرية ونظريته "نظام القرآن"

- د. ك.م.ع .أحمد زبير[1]

يُعدّ العلّامة عبد الحميد الفراهي (1280-1349هـ / 1864-1930م) من أبرز العلماء المسلمين الذين قدّموا إسهامات جليلة في الدراسات القرآنية والعلوم العربية، رغم أنّ شهرته لم تتناسب مع مكانته العلمية خارج دوائر المختصين.

في ظلّ عزلة ثقافية مفاجئة، رغم ثورة الاتصالات، يبرز اسم علماء أفنوا أعمارهم في خدمة التراث الإسلامي دون أن يحظوا بالشهرة التي يستحقونها. ومن هؤلاء العلّمة عبد الحميد الفراهي، ذلك العالم الهندي الذي قدّم جهودًا جليلة في الثقافة العربية الإسلامية، وترك إرثًا علميًا غزيرًا، لا سيما في مجال علوم القرآن الكريم.

النشأة والتكوين العلمي المتعدد: نشأ الفراهي في قرية "فريها" بشبه القارة الهندية، وبدأ رحلته العلمية بحفظ القرآن الكريم في سنّ مبكرة. أظهر موهبة فذة في اللغة الفارسية فنظم الشعر وهو في السادسة عشرة من عمره. ثم اتجه إلى تعلم اللغة العربية وعلومها على يد كبار علماء عصره، مثل المؤرخ شبلي النعماني (ابن عمته)، والفقيه المحدث أبي الحسنات اللكناوي، كما تتلمذ على يد الإمام فيض الحسن السهارنفوري في لاهور، حيث برع في الآداب العربية وفاق أقرانه في الشعر والنثر.

لم يقتصر علمه على التراث الشرقي، ففي عمر العشرين تعلّم اللغة الإنجليزية والتحق بالكلية الإسلامية في عليكره، وحصل على درجة في الفلسفة الحديثة من جامعة الله آباد، مما وسّع من آفاقه الفكرية.

[1] الأستاذ المشارك، القسم العربي، الكلية الجديدة، تشنائي

المسيرة العملية والإنجازات: شغل الفراهي عدة مناصب علمية رفيعة، حيث عمل أستاذًا للغة العربية في كلية عليكره الإسلامية، وتولّى التدريس فيها حتى مع وجود المستشرق الألماني يوسف هارويز، الذي استفاد منه في إتقان العربية بينما درس الفراهي على يديه اللغة العبرية. ثم انتقل للتدريس في جامعة الله آباد، قبل أن يتولّى رئاسة مدرسة دار العلوم النظامية في حيدر آباد الدكن، التي كانت تخرّج قضاة البلاد. كما كان له دور في تأسيس "الجامعة العثمانية"، إحدى أحدث الجامعات في زمانها.

في مرحلة لاحقة، آثر الانقطاع للعلم والبحث، وأسّس "مدرسة الإصلاح"، التي هدفت إلى إصلاح مناهج التعليم، وتبسيط دراسة اللغة العربية، والتوجه نحو تدبّر علوم القرآن.

الشخصية والإنتاج العلمي: كان الفراهي نموذجًا فذًا للعالم الموسوعي، في الجمع بين التبحر في العلوم العربية والشرعية والاطلاع الواسع على العلوم العصرية. وقد تجلّى هذا في مؤلفاته التي قاربت الخمسين مصنفًا، شملت التفسير وعلوم القرآن والحديث والأدب العربي والفلسفة والمنطق، بالإضافة إلى الشعر الراقي بالعربية والفارسية.

وحسب تقصي الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي، بلغت مصنفاته واحدًا وخمسين مصنفًا، عشرون منها مطبوعة، لكن معظمها نادر التداول، إذ طُبع في الهند بخط فارسي يشبه الخط اليدوي ولم يُطبع إلا مرة أو مرتين.

أبرز مصنفاته القرآنية: "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، و"تعليقات في القرآن الكريم"، و"دلائل النظام"، و"مفردات القرآن"، و"إمعان في أقسام القرآن"، و"التكميل في أصول التأويل"، و"مجموعة رسائل الفراهي"، و"أساليب النزول"، و"أوصاف القرآن"، و"تاريخ القرآن"، و"حجج القرآن"، و"حكمة القرآن"، و"فقه القرآن"، و"الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ".

نظريته "نظام القرآن": رؤية تجديدية في التفسير

يُعدّ الفراهي رائدًا في التأكيد على فكرة "النظام" في القرآن الكريم، والتي انقطع لدراستها وتطويرها طوال سنوات طويلة. انطلقت نظريته من أنّ ترتيب آيات القرآن وسوره ليس أمرًا عشوائيًا، بل قائم على حكمة بالغة وبلاغة فائقة، بحيث لو اختلّ هذا الترتيب لفسد النظام البياني للقرآن.

الفرق بين "التناسب" و"النظام": ميّز الفراهي بين مفهوم "التناسب" بين الآيات، الذي اهتم به العلماء السابقون، وبين مفهوم "النظام" الأشمل الذي قدّمه. فالتناسب يبحث في العلاقة بين الآيات المتجاورة، أما "النظام" فيعني أنّ السورة تكون "كلامًا واحدًا" متماسكًا، وترتبط مع السور الأخرى قبلها وبعدها في نسق كلي متكامل. فالقرآن برأيه "كلام واحد" من أوله إلى آخره.

أهمية النظام: جعل الفراهي من فهم "النظام" مفتاحًا أساسيًا لتفسير القرآن، فهو المنهج الصحيح للتدبر، والمرجح عند تضارب الأقوال، والمفتاح الذي تفتح به كنوز القرآن. وبلغ من أهميته عنده أن اعتبر أنّ معرفة النظام والربط تعادل نصف فهم القرآن.

تطبيق النظرية: تفسير "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان": سعى الفراهي لتطبيق نظريته عمليًا في تفسيره الكبير الذي حمل عنوان "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"، وتمكن من إنجاز تفسير عدد من السور التي اختارها لشدة إشكالها على المفسّرين. ولسوء الحظ، وافته المنية قبل إكمال هذا المشروع الضخم.

منهجه في الكشف عن النظام: اعتمد في تفسيره على القرآن نفسه أساسًا أولًا، من خلال استخراج ما أسماه "عمود السورة"، أي الفكرة المركزية أو العنوان الرئيس الذي تنتظم حوله معاني السورة كلها. وكان يعتمد على التدبر المباشر للقرآن والنظر في معانيه بعيدًا عن تراث الروايات الكثيفة، مع الاعتماد على صحاح الأحاديث والتحقيق اللغوي، وتجنب الإسرائيليات، والرجوع إلى الصحف القديمة بمنهج نقدي

مستفيدًا من معرفته بالعبرية والدراسات الغربية.

رحيل مبكر وخسارة للأمة: رحل الفراهي في مدينة "متهورا" وهو لا يزال غارقًا في البحث والتأليف، تاركًا وراءه إرثًا علميًا ضخمًا لم يكتمل أكثره. وكان رحيله، كما وصفه سليمان الندوي، خسارة كبرى للأمة الإسلامية، فقد كان عالمًا جمع بين الأصالة والعمق والمنهجية النقدية، وسيبقى نموذجًا ملهمًا للعالم المسلم المجدد.

آراء العلّامة عبد الحميد الفراهي في مسائل دقيقة في تفسير القرآن الكريم: يُعدّ العلّامة عبد الحميد الفراهي من أبرز العلماء المجددين في الدراسات القرآنية، وتميز منهجه بالعمق التحليلي والربط بين العلوم اللغوية والمنطق القرآني. تهدف هذه الدراسة إلى عرض آرائه في مسائل تفسيرية دقيقة، مع مقارنة منهجه بآراء علماء آخرين في علوم القرآن.

موازنة منهج الفراهي مع غيره من العلماء

1. "مفردات القرآن" للفراهي و"عمدة الحفاظ" للسمين الحلبي:

مفردات القرآن للفراهي: يعد أحد الكتب التأسيسية في مشروعه التفسيري، ويهدف إلى شرح الألفاظ القرآنية الأساسية لفهم النظم الكلي للقرآن. يتميز بالتحليل اللغوي العميق، والاستشهاد بالشعر الجاهلي، والنقد الموضوعي مع الاحترام، والاستفادة من اللغات المقارنة (كالعبرية) لرد الشبهات.

عمدة الحفاظ للسمين الحلبي: كتاب شامل لشرح غريب القرآن، مرتّب حسب حروف المعجم، ويناقش آراء السابقين ويستشهد بأقوالهم.

الموازنة: يجمع الكتابان بين الدقة اللغوية والاستدلال، لكن يتميز فراهي بالتركيز على السياق الكلي للقرآن وربط المفردات بالنظام العام للآيات.

2. "أقسام القرآن" للفراهي و"الإتقان" للسيوطي:

كتب الفراهي "إمعان في أقسام القرآن": يهدف هذا الكتاب إلى حل الإشكالات

حول القسم في القرآن، مؤكدًا أنّ غايته الاستدلال والاستشهاد بالآيات الدالة، وليس التعظيم بذات المقسم به. يتميز الكتاب بالاستقصاء والاستشهاد بالشعر والدراسات المقارنة.

و"الإتقان" للسيوطي: موسوعة شاملة لعلوم القرآن، تناولت موضوع القسم بشكل مختصر ضمن سياق موسوعي.

الموازنة: تناول الفراهي الموضوع بتعمق وتحليل أصولي، بينما جاء السيوطي ملخّصًا وجامعًا لأقوال السابقين.

3. "الرسوخ في الناسخ والمنسوخ" للفراهي و"الإيضاح" لمكي بن أبي طالب:

الرسوخ للفراهي: كتاب غير مكتمل، لكن خطته تبين اهتمامه بتأصيل أصول نظرية متينة لعلم النسخ.

والإيضاح لمكي بن أبي طالب: كتاب جامع ومستوعب لأقوال العلماء في النسخ، مع مناقشة الشروط والأقسام.

الموازنة: كتاب مكي أوسع نظرًا لاكتماله، بينما بقي عمل الفراهي مخططًا تأسيسيًا.

4. "أساليب القرآن" للفراهي و"البرهان" للزركشي:

أساليب القرآن للفراهي: يهدف إلى وضع قواعد لفهم أساليب البيان العربي والقرآني، مثل الحذف والإيجاز والالتفات.

والبرهان للزركشي: موسوعة ضخمة شاملة لعلوم القرآن، تناولت الأساليب البلاغية ضمن موضوعات متعددة.

الموازنة: كتاب الفراهي متخصص ويعمق في مجال محدد، بينما كتاب الزركشي موسوعي يجمع شتات الموضوعات.

آراء الفراهي في مسائل تفسيرية دقيقة

1. **رأيه في الذبيح (إسماعيل أم إسحاق):** ألّف كتاب "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" لإثبات أنّ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

أدلّته: من التوراة: استخرج ثلاثة عشر دليلًا على أنّ الذبيح هو إسماعيل، وناقش التحريفات اليهودية. ومن القرآن: استدلّ بعدة أدلة، منها ارتباط البشارة بالذبيح بدعاء إبراهيم "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ" الذي ينطبق على إسماعيل كأول ولد. ومن أقوال العلماء: ناقش بأدب آراء من خالفه.

2. **رأيه في حجج القرآن:** في كتابه "حجج القرآن"، يؤكد أنّ القرآن بنى حججه على "الاستدلال الفطري" المتوافق مع العقل السليم.

أصول الحجة عنده: الحق لا يبطل بالباطل. لا يبطل الفرع الأصل. أنواع الحجج: الحجج الآفاقية: الاستدلال بآيات الكون على وجود الخالق وصفاته (كالإتقان والنظام).

نقده: ينتقد اعتماد الفلاسفة والمتكلمين على المنطق الأرسطي، ويؤكد أنّ منهج القرآن أبلغ وأقوم.

3. **رأيه في حكمة القرآن:** يفرق في كتابه "حكمة القرآن" بين مصطلحي "الكتاب" و"الحكمة" عند اقترانهما في القرآن.

الكتاب: يشير إلى الأحكام والتشريعات. والحكمة: تشير إلى الأسس العقدية والأخلاقية والمواعظ والبراهين العقلية. فالنتيجة: يرى أنّ "الحكمة" في الآيات مثل "وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ" لا تعني "السنة النبوية" فحسب، بل المعنى الأشمل للعقيدة والأخلاق.

الخاتمة: تميز منهج العلّامة الفراهي بالعمق التحليلي والربط بين العلوم اللغوية والمنطق

القرآني، وسعيه لتأسيس منهج متكامل لفهم القرآن من خلال نفسه، مستخدمًا أدواته البلاغية والأسلوبية، ومحاولًا ردّ الشبهات بالحجة والبرهان.

المصادر والمراجع

1. السبحاني، محمّد عناية الله (2003). إمعان النظر في نظام الآي والسور. دار عمّار. عمان
2. الفراهي، عبد الحميد (1968). دلائل النظام. الدائرة الحميدية، أعظم كره
3. الفراهي، عبد الحميد (1994). إمعان في أقسام القرآن. دار القلم. بيروت
4. الفراهي، عبد الحميد (2000). تفسير سورة البقرة. الدائرة الحميدية. أعظم كره
5. الفراهي، عبد الحميد (2002). تح: محمد أجمل الإصلاحي. مفردات القرآن. دار الغرب الإسلامي. بيروت